دور بيت الحكمة والمدارس النظامية في تطوير التعليم وأثره على التعليم حاليًا

اعداد

محمد عبدالله على حمدى

الملخص:

أنشأ بيت الحكمة البغدادي في العصر العباسي وكان عبارة عن مكتبة ضخمة تعج بالكتب من مختلف الثقافات بمختلف اللغات، وقد ألحق بها دار لترجمة هذه العلوم، كان لها دور كبير في انتشار حركة الترجمة خلال العصر العباسي، وقد كان لعلماء بيت الحكمة الذين استفادوا من المادة العلمية التي أتيحت لهم من خلال الكتب المترجمة دوراً كبيراً في النهوض بالعلم بفروعه المختلفة بمؤلفاتهم واختراعاتهم ونظرياتهم في مختلف المجالات، ساهمت في تطور العلم في العصر العباسي ومازال أثره واضح من خلال العلوم العربية التي مازالت تدرس في الجامعات العربية والأوربية على حد سواء.

كان للمدارس النظامية التي أنشأها الوزير السلجوقي نظام الملك عظيم الأثر في تخريج جيل سني قادر علي مواجهة مد الفكر الشيعي في الدولة الإسلامية، كما أن تنظيماتها الوظيفية وأقسامها كانت مثلا يحتذى به في تنظيم المدارس والجامعات في العصر السلجوقي وما زلنا نشاهد أثرها حتى الآن في تنظيمات الجامعات سواء الأجنبية أو المحلية، وقد انتقلت علوم الحضارة الإسلامية إلي الغرب الأوربي عبر الأندلس وصقلية والحروب الصليبية، كما لعبت التجارة وحركة الترجمة دورًا كبيرًا في ذلك.

الكلمات المفتاحية: التعليم، بيت الحكمة، المدارس النظامية.

المقدمة:

اهتم المسلمون على مر تاريخهم بالمعرفة والتعليم وقد بدأ هذا الاهتمام منذ عهد النبي ﷺ، لذا فقد حظي التعليم في العصر الإسلامي بمكانة رفيعة ومتميزة، كما حثنا الله ﷻ في القرآن الكريم بقوله تعالي: {ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ٥}[1]، لذا سعى المسلمون على مر تاريخهم في التعليم واكتساب المعرفة والعلم، كما حرصوا على تطوير المؤسسات التعليمية، فبعدما كان التعليم مقتصرًا على الدور والمساجد، بدأت تظهر الكتاتيب وحوانيت التعليم والوراقين فضلاً عن البيمارستانات التي كانت دار للعلوم فضلا عن وظيفتها الأساسية كمشفى يتلقى فيها المرضى العلاج، حتى وصلوا إلى تأسيس بيوت الحكمة التي كانت بمثابة خزانات للكتب وكان أهمها بيت الحكمة البغدادي الذي كان بمثابة مكتبة كبيرة تحوي أمهات الكتب، يذهب إليها طالبي العلم لينهلوا من معارفها، وصولاً إلي تأسيس المدارس التي من أهمها المدارس النظامية التي أسسها الوزير نظام الملك والتي لعبت دوراً كبيرًا في نشر العلوم والمعرفة وتطوير العملية التعليمية في الحضارة الإنسانية.

كان التعليم في البداية قاصراً على علوم الفقه والشريعة وحفظ القرآن الكريم ودراسة الحديث الشريف، فلما اتسعت الدولة الإسلامية مع حركة الفتوح الإسلامية احتك المسلمون بالحضارات الأخرى وكان من الطبيعي أن يؤثروا فيهم ويتأثروا بهم، لذا بدأ المسلمون في دراسة العلوم العقلية غير الشرعية مثل الرياضيات والفيزياء والكيمياء وغيرها ونشطت حركة الترجمة واقتناء الكتب خاصة في العصر العباسي الذي حرص خلفاءه على نشر العلم والمعرفة، فقامت بيوت الحكمة التي ألحق بها معهدًا للدراسة ودارًا للترجمة فكانت بمثابة لنشر العلوم المختلفة، فضلاً عن المدارس النظامية التي كانت بمثابة أولى الجامعات التي تم أنشاؤها والتي انتشرت في العالم العربي تنشر المعرفة والعلوم المختلفة.

لقد كان لبيت الحكمة البغدادي الذي أنشاءه العباسيون والمدارس النظامية السلجوقية دورًا كبيرا في تطوير التعليم سواء في الحضارة الإسلامية، أو على التعليم في العالم أجمع وحتى وقتنا الحالي فالباحث في نظام التعليم الحالي في الجامعات والمدارس نجده يستمد الكثير من تنظيماته وأفكاره من التطورات التي استحدثتها بيوت الحكمة والمدارس النظامية، ويتضح ذلك جليًا في نظام الجامعات الحالي وهو ما سنحاول أن نبرزه في هذا البحث، كما سنحاول توضيح الدور الكبير الذي قامت به كلاً من بيوت الحكمة والمدارس النظامية في تطوير التعليم وآثر ذلك التطوير على التعليم في الوقت الحالي.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية البحث في توضيح أهمية بيت الحكمة البغدادي والمدارس النظامية في نشر العلوم المختلفة والمعرفة في العصر الإسلامي، ودورها في تطوير التعليم، وأثر ذلك التطور على التعليم في الوقت الحالي.

أهداف الموضوع:

يهدف البحث إلى:

- دراسة شكل ونظام التعليم في العصر الإسلامي.
- توضيح كيف تم إنشاء كل من بيت الحكمة البغدادي والمدارس النظامية.

[1] سورة العلق، الآيات ١: ٥.

- إبراز كيفية سير العملية التعليمية داخل بيت الحكمة البغدادي والمدارس النظامية.
- توضيح دورهما في تطوير التعليم في الحضارة الإسلامية.
- الوقوف على ماهية أثار كلا من بيت الحكمة البغدادي والمدارس النظامية على التعليم الحالي.

منهج البحث:

يعتمد البحث على المنهج التاريخي بآلياته المختلفة من وصف وتحليل المصادر التاريخية عن كيفية إنشاء بيت الحكمة البغدادي والمدارس النظامية ومدى تأثيرهم في العصور التي أنشئت فيها ومقارنة المادة العلمية للوصول لنتائج منطقية عن مدى أثر هاتين المؤسستان على سير العملية التعليمية في العصر الحالي.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى ثلاثة مباحث وهي كالتالي:

- المبحث الأول: نشأة بيت الحكمة البغدادي ودوره في تطوير التعليم.
- المبحث الثاني: نشأة المدارس النظامية ودورها في تطوير التعليم.
- المبحث الثالث: أثر بيت الحكمة البغدادي والمدارس النظامية على التعليم في العصر الحالي.

المبحث الأول

نشأة بيت الحكمة البغدادي ودوره في تطوير التعليم

لقد دأب المسلمون منذ فجر الحضارة الإسلامية على نشر العلم والمعرفة، وكتابة مؤلفاتها في العلوم الإسلامية في البداية، وقد امتازت هذه الحضارة بتبادل الكتب والسماح للجميع بالتعلم والتأليف والقراءة دون تمييز على أساس جنس أو لون أو عرق، وبعد نجاح حركة الفتوحات الإسلامية واحتكاكهم بالثقافات المختلفة، عملوا على ترجمة علوم تلك الحضارات إلي لغتهم الأم العربية للاستفادة منها والإضافة إليها، وأنشأوا لها المكتبات الضخمة ودور الترجمة وحوانيت الوراقين.(٢)

يعتبر بيت الحكمة أول مكتبة عامة بهذا الحجم تحوز على هذا القدر من الأهمية في العالم الإسلامي بأسره، ويعتبره البعض بمثابة أول جامعة تجمع بين العلماء وطلابهم من الباحثين عن العلم، ينهل من معارفه الطلاب في مختلف مجالات العلم سواء العقلية أو الدينية.(٣)

أصل تسمية بيت الحكمة البغدادي:

لقد تعددت أسماء بيت الحكمة في العصر العباسي فمنهم من أسماه بخزانة الحكمة ربما لأنه كان في البداية خزانة للكتب المختلفة ومنهم من قال عنه بيت الحكمة نسبة لما يقدمه من حكمة ومعرفة والحكمة هي معرفة حقيقة الشيء(٤)، ولا يختلف المسميان كثيرًا ولكن ظل اسم بيت الحكمة أكثر انتشارًا

(٢) عطا الله، خضر أحمد، بيت الحكمة في عصر العباسيين، ط١، دار الفكر العربي، القاهرة ٢٠١٣م، ص٢٨.
(٣) شلبي، أحمد، تاريخ التربية الإسلامية، ط ٣، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٦م، ص ١٦٥ – ١٧٢.
(٤) عبد الرحمن، عائشة، تراثنا بين الماضي والحاضر، القاهرة، دار المعارف المصرية، ١٩٧٠م، ص ١٩، ٢٠.

بسبب دلالته اللغوية الفصيحة، فنجد علماء هذا العصر يذكرونه في مؤلفاتهم ببيت الحكمة لهارون ومنهم من يقول بيت الحكمة للمأمون وأحيانًا خزانة الحكمة لهارون وأحيانًا خزانة الحكمة للمأمون.[٥]

نشأة بيت الحكمة:

لقد أعطى العباسيون منذ قيام دولتهم عام (١٣٢ه – ٧٤٩م) للتعليم اهتماماً كبيراً، ولما كانت المكتبات وخزانات الكتب هي المكان المنوط به وجود الكتب المختلفة والتي يستطيع الطلاب من خلاله الاطلاع والمعرفة[٦]، اهتم خلفاء العصر العباسي بإنشاء هذه المكتبات وتنشيط حركة الترجمة من وإلى اللغات الأخرى، وقد كان بيت الحكمة البغدادي هو أعظم هذه المكتبات شأنًا بسبب وجود الكتب النادرة والنفيسة به في مختلف العلوم وبمختلف اللغات.[٧]

لقد ظلت شخصية مؤسس بيت الحكمة البغدادي موضع خلاف بين الباحثين لفترة طويلة، فبالرغم من أن الكثير من المؤرخين يرجع تأسيس بيت الحكمة للخليفة العباسي هارون الرشيد إلا أن البعض يقول أنها كانت قائمة بالفعل أيام الرشيد وأنها تم إنشائها من قبل، وفي ذلك يقول الحموي: "عن علان الوراق الشعوبي كان ينسخ في بيت الحكمة للرشيد والمأمون والبرامكة"[٨]

يذهب المؤرخون إلا أنه مع اتساع الدولة الإسلامية وازدياد رصيد المسلمون من التراث المدون سواء المترجم أو المؤلف بالعربية أمر هارون الرشيد بجمع أمهات الكتب الموجودة في دار الخلافة، ثم أنشأ لها مبنى واسع يتميز بالفخامة وعين عليها الموظفون، ليصبح هذا المبني فيما بعد مؤسسة ثقافية كبرى تنشر العلوم والمعرفة، وقد اهتم بها الخلفاء العباسيين من بعد هارون حتى أصبحت بمفهومنا الحالي أكاديمية علمية متميزة.[٩]

لقد اهتم هارون الرشيد بأن يجمع في بيت الحكمة أمهات الكتب القديمة بمختلف اللغات وشيد للكتب دار خاصة بها وجعل الإشراف عليها لعلماء متميزين ومعروفين[١٠]، كما اختص يوحنا بن ماسويه بالإشراف على ترجمة الكتب وجعله أمينا عليها، وقد ظل يوحنا بن ماسويه في هذه الوظيفة في عهد كل من الأمين والمأمون وحتى عصر المتوكل من بعدهم، فقد برع في مجال الترجمة خاصة كتب الطب التي جلبت من بلاد الروم وأنقرة وعمورية.[١١]

وقد سار المأمون على نهج والده في الاهتمام ببيت الحكمة بل زاد عليه أن قام بتوسعته، وجمع إليها الكتب من مصر وبلاد فارس والهند وبلاد اليونان وبلاد الروم وغيرها من مقرات الحضارات القديمة، وخصص المكافآت والرواتب للمترجمين والعلماء والأدباء بها، لذا يعتبر البعض عصره العصر

---

(٥) العيساوي، محمد جاسم، مكتبة بيت الحكمة ودورها في الحضارة العربية الإسلامية، مجلة آفاق للعلوم، العدد٦، ص ٣٩٠-٣٩٤.

(٦) عبد الدائم، عبد الله، التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى القرن العشرين، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٧٣م، ص ١٥٦، ١٥٧.

(٧) إسماعيل، رفيدة إسماعيل عطا المنان، بيت الحكمة البغدادي وأثره في الحركة العلمية في الدولة العباسية (١٣٢ – ٦٥٦ ه/ ٧٥٤ – ١٣٥٨م)، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الخرطوم، ٢٠٠٩م، ص ٥٦، ٥٧.

(٨) الحموي، ياقوت، معجم الأدباء، ج ٧، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٩٣م، ص ١٦٣٢.

(٩) عطا الله، مرجع سابق، ص ٢٩.

(١٠) راضي، علي محمد، عصر الإسلام الذهبي: المأمون العباسي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٠م، ص ٦٨.

(١١) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، ج ١، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٨٥٣م، ص ٤٠٥، ٤٠٦.

الذهبي للترجمة ولبيت الحكمة ذلك لما تميز به من حبه للعلم والتعلم[١٢]، كما ألحق المأمون بها مدرسة لتعليم اللغات والترجمة حتى يضمن تخريج جيل كامل من المترجمين يعملون على ترجمة ما جلبه من كتب في العلوم المختلفة وعين سهل بن هارون أمين عليها.[١٣]

أهمية بيت الحكمة:

لقد كان بيت الحكمة مكاناً متميزاً لعقد حلقات العلم فضلاً عن المناظرات التي كانت تقام فيه بين العلماء، كما أن الكتب الكثيرة التي جلبها إليه الخليفة المأمون وتمت ترجمتها أنقذت الكثير من العلوم التي كان من الممكن أن تندثر في عصر الظلام في أوربا،[١٤] كما عمل بيت الحكمة على نشر التعليم بين المسلمين وإتاحة الكتب للفقراء والأغنياء على حد سواء، كما ساعدت على ظهور نوع جديد من المكتبات يتم فيه تقسيم الكتب إلى فروع العلم المختلفة، يتميز كل نوع بلون جلاد معين، وكل لون موضوع علي رف يخصه ويعتبر هذا النظام من أكثر الأنظمة المتطورة في مكتبات أوربا حتى الآن.[١٥]

كما كان العاملين على بيت الحكمة يحرصون على المحافظة على ما بها من كتب وتراجم ومخطوطات، كما قامت بمزج الثقافات المختلفة والمعارف المختلفة خاصة مع وجود الموالي، فقد جمع بيت الحكمة علماء من كافة الثقافات والديانات، فيقول عنه ابن خلدون: "إن الإسلام مدين إلى هذا المعهد العلمي باليقظة الإسلامية الكبرى التي اهتزت لها أرجاؤه والتي تشبه في أسبابها -وهي التجارة وإعادة كشف كنوز اليونان- وفي نتائجها- وهي ازدهار العلوم والفنون"، حيث أنها أحدثت تطورا كبيرا في انتشار العلم والتعليم في العصر العباسي.[١٦]

أثار بيت الحكمة على التعليم:

لقد مر بيت الحكمة بعدة مراحل تطور خلالها، فبعد أن كان في البداية مكتبة خاصة لجمع نفائس الكتب أضحي مركزا للترجمة ثم تطور ليكون مركزًا للبحث والتأليف، ثم تحول إلى مدرسة يتلقى الطلاب فيها العلوم المختلفة، فقد كان بيت الحكمة يتكون من عدة أقسام لكل منها دوره في تطور التعليم في هذا العصر:

- المكتبة:

كانت المكتبة أهم أقسام بيت الحكمة والتي يتم جمع الكتب والمخطوطات والمؤلفات من مختلف الثقافات واللغات فيها ثم يتم ترتيبها وتنظيمها على الرف، ويتبعها قسم النسخ والتجليد الذي يرمم ما تلف من الكتب ثم ينسخها ويجلدها كل علم بلون مختلف، والتي كانت مركز إطلاع لطلبة العلم من كافة أنحاء الدولة العباسية وما جوارها، فقد ذيع صيتها في العالم أجمع لما احتوته من أمهات الكتب القديمة لمختلف الحضارات وبلغات متعددة.[١٧]

- مركز الترجمة:

لقد صاحب كثرة الكتب والمؤلفات الأجنبية خاصة التي جلبها المأمون لبيت الحكمة، اتساع كبير في حركة الترجمة، ومعظم من تولوا حركة الترجمة من أهل الذمة أمثال يوحنا بن ماسويه وحنين بن

---

[١٢] زكريا، زكريا هاشم، فضل الحضارة الإسلامية والعربية على العالم، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٠م، ص٢٨٢-٢٨٥.

[١٣] خراساني، محمد غفراني، عبد الله بن المقفع، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٠م، ص ٣٥، ٣٦.

[١٤] عطا الله، مرجع سابق، ص ٤١: ٤٣.

[١٥] زيدان، جرجي، تاريخ التمدن الإسلامي، ج٣، تحقيق: حسين مؤنس، مطبعة دار الهلال، القاهرة، ١٩٣٢م، ص٢٠١.

[١٦] عطا الله، مرجع سابق، ص ٤٤، ٤٥.

[١٧] السرجاني، راغب، ماذا قدم المسلمون للعالم، ج١، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص ٢٢٦.

إسحاق وثابت بن قرة وغيرهم، ولم يقتصر دور المسلمين على الترجمة فقط بل ألفوا ودونوا الكثير من الكتب في مختلف المجالات، وقد ساعدت هذه التراجم على نشر العلم خلال عصور الحضارة الإسلامية إلى أنحاء الدولة مترامية الأطراف دون تفرقة بين غني وفقير، كما أنه لا يمكن أن نغفل دور هذه التراجم في حفظ العلم والمعرفة من الضياع خاصة في عصور أوربا المظلمة.(١٨)

- مركز البحث والتأليف:

هو المكان الذي كان فيه المؤلفون والعلماء يكتبون كتباً خاصة لتوضع في هذه المكتبة، وكان الخليفة يجزل لهم العطايا مقابل ذلك، فقد كتب هؤلاء العلماء في كافة أنواع العلوم ما ساعد علي إثراء العلم والمعرفة في ذلك العصر.(١٩)

- المرصد الفلكي:

قام الخليفة المأمون بإنشاء المرصد الفلكي في حي الشماسية قرب بغداد وجعله تابعًا لبيت الحكمة، وذلك للاهتمام بأن يكون دراسة علم الفلك منقسمة إلى جزأين النظري والتطبيقي وما يعكس اهتمامه بالعلم والتعليم، فقد ألحق به نخبة من علماء هذا العصر في علم الفلك والرياضيات والجغرافيا أمثال الخوارزمي والبيروني وغيرهم وقد استطاع علماء هذا المرصد من تحديد محيط الكرة الأرضية، ما ساعد على تطور علم الفلك بطريقة عظيمة خلال هذه العصور المبكرة خاصة أن علماء المسلمين حرصوا على أن ينشروا علومهم ويكتبون ما توصلوا إليه ليصل إلي البشرية كلها.(٢٠)

- المدرسة:

ألحقت بدار الحكمة مدرسة يتلقى فيها الطبة الدروس، بها دار لإقامة الطلبة والأساتذة المغتربين حتى توفر عليهم مشقة السفر والانتقال، وقد انقسم المنهج الدراسي لمسارين إما المحاضرات المباشرة وإما من خلال المناظرات والمناقشات، وقد تعددت العلوم التي كانت تجمع بين العلوم العربية بأصنافها المختلفة والعلوم الأجنبية المترجمة بفروعها المختلفة منها الفلسفة والطب والرياضيات وغيرها(٢١)، وعندما يتخرج الطالب منه يمنح إجازة علمية محدد فيها اسمه والشيخ الذي تعلم على يده ومذهبه وتاريخ منحه الإجازة.(٢٢)

المبحث الثاني

نشأة المدارس النظامية ودورها في تطوير التعليم

مع الضعف الذي أصاب الدولة العباسية السنية في العصر العباسي الثاني في الوقت الذي ازدادت فيه قوة الخلافة الفاطمية الشيعية في مصر، اضطرت الخلافة العباسية للاستعانة بالسلاجقة السنيين ضد النفوذ الفاطمي المتزايد، ولقد نجح السلاجقة في تأسيس دولتهم على أطراف الدولة العباسية مع حفاظهم على نفوذهم القوي داخل الدولة العباسية، وقد تميز ملوك الدولة السلجوقية بأنهم جنود عسكريين لا يتميزون ببراعة الإدارة غير أن الملك ملكشاه السلجوقي قد حظى بوزير من أقوى وأقدر

(١٨) العيساوي، مرجع سابق، ص٣٩١.
(١٩) السرجاني، مرجع سابق، ص ٢٢٥: ٢٣١.
(٢٠) بيطار، أمينة: تاريخ العصر العباسي، منشورات جامعة دمشق، ١٩٩٦م، ص ٤٠٩.
(٢١) عبد الحميد، قصي أسعد: بيت الحكمة وأثره الحضاري حتى نهاية العصر العباسي الأول (٢١٨ه/ ٨٣٣م)، الجامعة المستنصرية، مجلة كلية التربية الأساسية، العدد ١١٥، المجلد ٢٨، ٢٠٢٢، ص ٣٢٨.
(٢٢) السرجاني، مرجع سابق، ص٢٣٢.

الشخصيات حنكة وإدارة وذكاء، وهو الوزير نظام الملك[٢٣]، الذي كان يرى أن الأفكار لا تهزم إلا الأفكار وأن الفكر الشيعي لا يهزمه إلا فكر سني معتدل، لذا أنشأ المدارس النظامية لهذا الغرض.

تأسيس المدارس النظامية:

تأسس المدارس النظامية على يد الوزير السلجوقي نظام الملك وقد كانت المدرسة النظامية ببغداد هي أول هذه المدارس والتي اختار موقعها في شرق بغداد تطل على نهر دجلة، بدأ العمل في تأسيسها في ذي الحجة عام (٤٥٧هـ/ ١٠٥٦م)، وقد استمر العمل بها لمدة عامين ليتم افتتاحها في يوم السبت ١٠ ذي القعدة عام (٤٥٩هـ/ ١٠٦٧م) في حفل بهيج دُعى له كبار رجال الدولة ووجهاء مدينة بغداد وأهلها[٢٤]، كما أنشأ نظام الملك فروعًا أخرى للمدرسة النظامية في حاضرات المدن الإسلامية مثل نيسابور وهراة وبلخ وأصفهان والموصل والبصرة حملوا جميعا نفس الاسم بنفس الأهداف وطرق التدريس وإن كانت المدرسة النظامية ببغداد كان لها الزعامة بسبب موقعها بحاضرة الخلافة. [٢٥]

لقد كان الهدف الأساسي من إنشاء المدرسة النظامية هو تخريج جيل من الفقهاء والعلماء والمفكرين للرد بالحجة والدليل على أفكار الدولة الشيعية التي كانت تحاول نشر مذهبها الشيعي في حيز الدولة العباسية، لذا وجه نظام الملك هذه المدارس لنشر المذهب السني[٢٦].

وقد أنفق نظام الملك ببذخ على إنشاء هذه المدارس لدرجة أن أعداءه وشوا به لدى سلطانه بأن الأموال التي أنفقها على هذه المدرسة تكفي لتجهيز جيش بأكمله كما حبس عليها العديد من الأوقاف من أجل عمارتها ودفع رواتب العاملين بها من العلماء والمدرسين ودفع الرواتب الشهرية للطلبة.[٢٧]

وقد كانت هذه المدارس تتكون من قاعات للدراسة تتناسب مع عدد الدارسين بها وهي ما تقابل قاعات المحاضرات حاليًا، ومساكن للطلبة والمدرسين حتى تخفف عنهم مشقة الانتقال والسفر في وقت كانت وسائل المواصلات فيه صعبة، وربما كان ذلك سبباً لتهافت الطلبة على الدراسة بهذه المدارس حيث المكان الميسر للسكن والدراسة على يد أفضل المدرسين والعلماء وكذلك صرف الرواتب الشهرية ليتفرغ الطالب للدراسة، وبيت الصلاة أو مسجد ملحق بالمدرسة وكان يستخدم للصلاة والدراسة معًا حيث لا يخلو من حلقات للدراسة والعلم ويعتبر بيت الصلاة هو أكبر مباني المدرسة من حيث الاتساع، فضلاً عن قسم الحمامات للاهتمام بالنظافة الشخصية، وللاهتمام بالحالة الصحية للطلبة والمدرسين تم الحاق بيمارستان بالمدرسة يعمل به الأطباء والطلبة الدراسين لعلم الطب، أما عن المكتبة فهي مبني ضخم يحتوي على آلاف الكتب في مختلف العلوم وخاصة تلك التي تخدم الأفكار التي من أجلها أنشأ نظام الملك النظاميات، ورغم كل هذه المرافق فان الأمر لم يكن لينجح لولا النظام الإداري الصارم الذي وضعه نظام الملك لهذه المدارس.[٢٨]

---

(٢٣) هو نظام الملك قوام الدين أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي، ولد في ١٥ ذي القعدة ٤٠٨هـ، في قرية موقات قرب مدينة طوس في إيران، وقتل في ١٠ رمضان ٤٨٥هـ في الطريق من بغداد إلي أصفهان قرب نهاوند، ويعد أحد أقوي الشخصيات التي تولت الوزير في التاريخ الإسلامي، وقد تولى الوزارة في الدولة السلجوقية في عهد كلا من الملك ألب أرسلان والملك ملكشاه، عرف عنه الفطنة والذكاء وحسن الإدارة والعدل، ويعتبر أعظم عمل قام به نظام الملك هو تأسيس المدارس النظامية. انظر: نفيسي، سعيد، المدرسة النظامية في بغداد، بيروت، الدراسات الأدبية في الثقافتين العربية والفارسية وتفاعلهما، الجامعة اللبنانية، العددان١، ٢، ١٩٦٧م، ص٦٧، ٦٨.

(٢٤) عبد الوهاب، بوعبدلي المسعود، أهم المدارس النظامية في العصر السلجوقي في القرن الخامس الهجري- الحادي عشر الميلادي، الجزائر، مجلة العلوم الإنسانية والحضارة، المجلد٤، العدد٢، ٢٠٢٢، ص٦٧- ٨٢، ص٦٨.

(٢٥) إسماعيل، مرجع سابق، ص١١٣.

(٢٦) اليازجي، كمال، معالم الفكر العربي في العصر الوسيط، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٦م، ص ٦٠.

(٢٧) إسماعيل، مرجع سابق، ص ١١٣.

(٢٨) طيفوري، خيرة، المدارس النظامية وطرق التعليم في العصر السلجوقي (٤٤٧- ٥٦٥هـ/ ١٠٥٥- ١٢٥٨م)، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والحضارة، جامعة عمار ثليجي الأغواط، الجزائر، ٢٠٢١، ص ١١٨، ١١٩.

نظام التعليم في المدارس النظامية:

إن كان التعليم في المدارس النظامية قد اقتصر في البداية على العلوم الدينية لأن هذا ما أنشئت من أجله، فان هذه التخصصات قد اتسعت فيما بعد لتشمل العلوم العقلية والرياضيات.

- المدرسون:

لقد ابتدع نظام الملك نظام جديد في تعيين المدرسين عن طريق مرسوم خاص من الخليفة أو السلطان السلجوقي أو الوزير بشرط أن يكون سني شافعي فضلاً عن الاختبارات التي كانت تسبق اختياره لمعرفة مدى كفاءته لضمان تحقيقه أهداف المدرسة.(٢٩)

- المعيدون:

لم تظهر وظيفة المعيد إلا بظهور المدارس النظامية، فالمعيد هو من يعيد المحاضرة على الطلبة بعد إلقاء المدرس لها، وكان يتم تعيينه من قبل إدارة أو ناظر المدرسة النظامية بشرط أن يكون سني شافعي.(٣٠)

- الوعاظ:

وهو من كان يقوم بوعظ الطلبة بعد انتهاء الصلاة، ولكن هذه الوظيفة اندثرت بعد كثرة الكتب والمصادر.(٣١)

- الطلاب:

وفد إلي المدارس النظامية الكثير من طلبة العلم من كافة أنحاء العالم الإسلامي نتيجة لشهرتها الواسعة، فضلاً عما تقدمه المدرسة من تسهيلات للدراسة، حيث التعليم بها مجانياً ومتاحاً للجميع.(٣٢)

منهج الدراسة في المدارس النظامية:

وضع نظام الملك أساس الدراسة في هذه المدارس وهي المذهب السني والفقه الشافعي، إلي جانب دراسة القرآن الكريم والتفسير والحديث والفقه وعلوم اللغة العربية إلي جانب الطب والفلسفة والفلك والرياضيات فيما بعد.(٣٣)

دور المدارس النظامية في تطور التعليم:

لقد نجح نظام الملك في إنشاء المدارس النظامية والتنظيم الذي وضعه لها ما أطال في عمرها لقرون عديدة، فقد نجحت هذه المدارس في تخريج أجيال عديدة أصبح منهم علماء في المذهب السني الشافعي وبذلك حققت المدارس ما أنشئت من أجله، كما كان خريجيها أساس الجهاز الإداري للدولة خاصة ممن تولوا وظائف الحسبة والقضاء والاستيقاء لفترة كبيرة من الزمان، وسافر البعض الأخر إلى أرجاء العالم الإسلامي ينشرون أفكارهم وعلمهم في مختلف البلدان حتى اندثرت أفكار الشيعة الباطنية في أماكن كثيرة مثل مصر وشمال إفريقيا - منشأ الدولة الفاطمية الشيعية - وتأسيس دولة الموحدين بها.(٣٤)

كان نجاح المدارس النظامية وشهرتها الواسعة دافعاً للكثير لبناء المدارس وانتشارها في الكثير من البلدان الإسلامية، حيث أصبحت مضرب للمثل في المدارس المنظمة والمرتبة التي تقدم تعليما جيداً

(٢٩) إسماعيل، مرجع سابق، ص ١١٦.
(٣٠) طيفوري، مرجع سابق، ص ١٠٧.
(٣١) نفيسي، مرجع سابق، ص ٨٨.
(٣٢) إسماعيل، مرجع سابق، ص ١١٧.
(٣٣) حمود، يلدريم، مرجع سابق، ٣٨١.
(٣٤) عبد الوهاب، مرجع سابق، ص ٧٥.

ومن أوائل هذه المدارس هي مدرسة أبو سعيد المستوفي بباب الطاق ببغداد والمدرسة التاجية نسبة لتاج الملك أبو الغانم وهو من تولي الوزارة لدي ملكشاه بعد مقتل نظام الملك.[٣٥]

كان للأوقاف الكثيرة التي خصصها نظام الملك لدفع رواتب للطلبة أثر كبير في استمرار الكثير من الطلبة الفقراء في التعليم حيث تعتبر هذه الرواتب بمثابة إعانات لأهالي الطالب الفقير ما يساعدهم على إبقاء ابنهم في التعليم مع تقديم التعليم بالمجان، فضلاً عن توفير ما يحتاجه الطالب من كتب ومصروفات وسكن وملبس ومأكل فهي بذلك تزيل الفوارق الطبقية ويكون التميز العلمي هو الفارق الوحيد ما يعمل على تنمية المجتمع من خلال رفع مستوى التعليم العام.[٣٦] وبذلك تكون هذه المدارس قد لعبت دورًا كبيرًا في تطور العملية التعليمية في العصر الإسلامي خاصة مع معالجتها للجوانب الاجتماعية والاقتصادية للطالب والمدرس لذا كان لها دورًا كبيرًا في التعليم والتدريب وأصبحت مثال يحتذي به في إنشاء المدارس على غرارها في كافة أنحاء العالم الإسلامي.[٣٧]

أدخل نظام الملك شروط يتم على أساسها اختيار المدرسين وأهمها الجدارة ما يضمن تخريج جيل متفوق ومقتدر علمياً على مواجهة أية تحديات أو أفكار، كما أصبحت المدرسة أشبه بمجتمع متكامل به كل وسائل رغد العيش من قاعات للدرس وأماكن للمعيشة للطلبة والمدرسين ومساجد ومكتبات وقاعات طعام وحمامات وغير ذلك ما ربط الطالب أكثر بالمدرسة.[٣٨]

كان التطور الكبير الذي أحدثته المدارس النظامية في مجال التعليم سببًا في نشر العلوم المختلفة في العالم الإسلامي، كما ساعدت علي تكوين أفكار تنويرية نقدية وتخريج جيل قادر على النقاش هزيمة الفكر بالفكر.[٣٩]

المبحث الثالث

آثر بيت الحكمة البغدادي والمدارس النظامية على التعليم حاليا

بداية من القرن الثاني الهجري كان للحضارة الإسلامية الدور القيادي في إضاءة طريق العلم للبشرية في الوقت الذي انتشرت فيه عصور الظلام في أوربا، لغتها هي اللغة العربية ودينها الإسلام ودستورها هو القرآن الكريم والسنة النبوية، لتقوم بدورها في الحفاظ على علوم الحضارات القديمة وتصحيح ما به من خطأ بما سمحت به إمكانيات عصرهم وتضيف وتطور فيه خاصة علم الكيمياء والجبر والفيزياء وغيرها، في الفترة من القرن الأول حتى القرن السادس الهجري، لتكون فيما بعد هذه العلوم هو الأساس التي قام عليه عصر النهضة الأوربي. [٤٠]

آثر بيت الحكمة على التعليم حاليا:

لقد كان تأسيس بيت الحكمة في العصور الوسطي من أهم الأحداث ذلك لأنها جمعت بين مميزات المكتبة الضخمة والأكاديمية العلمية ودار الترجمة في نقل التراث القديم إلى العالم حاليًا علي أيدي مترجمين من المسلمين وأهل الذمة الذين ترجموا مؤلفات أرسطو وجالينيوس وأفلاطون وإسكندر

---

(٣٥) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٦، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ١٣٣، ١٣٤.

(٣٦) حمود، أسماء حجي؛ يلدريم، محمد إبراهيم، دور ومكانة المدارس النظامية في التطور العلمي الإسلامي خلال العصر السلجوقي، مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية، المجلد ٥، العدد ٥، ص ٣٧٥- ٣٨٧، ص ٣٧٩.

(٣٧) حمود، يلدريم، مرجع سابق، ص٣٨٠، ٣٨١.

(٣٨) حمود، يلدريم، مرجع سابق، ص ٣٨٢.

(٣٩) حمود، يلدريم، مرجع سابق، ص ٣٨٦.

(٤٠) عطا الله، مرجع سابق، ص ٤٤٠.

وغيرهم حتى أصبح العرب يملكون علوم الحضارات القديمة تحت أيديهم.[٤١] فلقد تميز علماء المسلمون الذين عاصروا بيت الحكمة وتعلموا فيه بالعلوم التي تخصصوا فيها ومازالت مؤلفاتهم تدرس حتى الآن في الجامعات المحلية والدولية في مختلف فروع العلم ومنها:

- علم الفلك:

لقد نجح علماء المرصد الفلكي في حساب محيط الكرة الأرضية، كما نجحوا في تحديد مقدار زاوية ميل محور الكرة الأرضية بثلاثة وعشرون درجة وثلاثون دقيقة وخمسون ثانية وهو نفس الرقم الذي قدرته أكبر الجامعات في عصرنا الحالي بأكثر الآلات تطوراً، كما حسبوا الوقت واستخدموا الساعات الرملية لضبط الوقت ومعرفة مواقيت الصلاة، كما صححوا أخطاء نظريات بطليموس وتصحيح جداول اليونان على يد يحيى بن أبي منصور، كما كان أبو عبدالله محمد بن جابر بن سنان البَتَّاني أحد علماء المرصد الفلكي والذي حاز شهرة واسعة حتى إن العلماء يعتبرونه أحد أشهر عشرون عالمًا في الفلك على مستوى العالم، وأبو الوفا مكتشف التباين القمري الثالث، فضلاً عن الأسطرلابى الذي سمي الجهاز الفلكي باسمه لدوره في صناعة الأجهزة الفلكية وتوضيح كيفية عملها.[٤٢] ويتضح أن بيت الحكمة قد حوت أشهر علماء الفلسفة خاصة في مجال الفلك الذي مازال يؤثر في دراسة الجامعات الحديثة حتى الآن.

- علم الطب:

كما لمع من بيت الحكمة في مجال الطب أبو بكر الرازي الذي قام بوضع دائرة معارف طبية مكونة من خمسة وعشرون جزءًا ترجمت إلى اللاتينية وظلت تدرس في الجامعات الأوربية حتى نهاية القرن الخامس عشر الميلادي، فقد أطلق عليه جالينيوس العرب، فقد كانت كتبه أساس دراسة علم الطب في الجامعات الأوربية لوقت طويل وأشهر هذه الكتب هو كتاب الحاوي.[٤٣] فضلاً عن مؤلفات ابن سينا التي تعتبر مرجع في علم الطب وفي ذلك تقول وزير الصحة بالجمهورية الألمانية أثناء تواجدها في القاهرة أثناء افتتاح المؤتمر الدولي أن الغرب لن ينسى أبدا أنه مدين للعرب بدراسة وأن كتب الرازي وابن سينا هي الوحيدة التي تدرس بجامعة بالرمو حيث توجد أشهر مدرسة للطب في الغرب. [٤٤]

- علم الكيمياء:

أما في مجال الكيمياء فإن علوم جابر بن حيان هي أساس علم الكيمياء فقد عرف حمض الكبريت والأزوت والصودا الكاوية وغيرها من المواد الكيميائية الهامة كما عرف الترشيح والتصعيد والتقطير، كما حضر كلوريد الزئبق، فضلاً عن الأدوية المستخرجة من الأعشاب والنباتات الطبية والتي ما زالت أساس لبعض التركيبات الطبية التي تدرس في كليات الصيدلة حتى الآن.[٤٥]

- علم الجبر:

أما عن علم الجبر فقد تفوق علماء المسلمين في علم الجبر حتى أن الخوارزمي أصبح له علم باسمه وهو علم الخوارزميات فقد ترجمت كتاباته ونقلت إلي الغرب، والتي مازالت تدرس حتى الآن، فضلاً عن البتاني الذي برع في علم الفلك فكان للعرب السبق في التنبؤ بكسوف الشمس وخسوفها والاهتمام بدراسة القمر لارتباط الشهور الهجرية به.[٤٦]

---

(٤١) مظهر، جلال، علوم المسلمين أساس التقدم العلمي، الهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٧٠م، ص ١٥: ١٧.

(٤٢) المنوفي، السيد محمود، أصالة العلم وانحراف العلماء، دار نهضة مصر، القاهرة، (د.ت)، ص ٥: ١٨.

(٤٣) زكريا، مرجع سابق، ص ٤١١.

(٤٤) عطا الله، مرجع سابق، ص ٤٤٩، ٤٥٠.

(٤٥) فراج، عزالدين، فضل العلماء المسلمين على الحضارة الأوربية، القاهرة، دار الهنا للطباعة،١٩٧٨م، ص١٦٤.

(٤٦) فراج، المرجع السابق، ص ٧٢، ٧٣.

فضلاً عن علوم الفلسفة التي برع منها يعقوب بن إسحاق الكندي الذي خالف فلسفة اليونان رغم أنه أخذ منهم الكثير، وعلوم الأدب وغيرها من العلوم التي ترجمها العرب وعملوا على تصحيح ما بها من أخطاء ثم أضافوا إليها وطوروها وقد انتقلت هذه العلوم إلي الغرب ومازالت هذه العلوم تدرس إلى الآن في الجامعات الأوربية المختلفة، غير أن بيت الحكمة بمكتبته الضخمة وتقسيماته المنظمة كانت طريقة فريدة حيث يتم تقسيم الكتب كل علم على حده ثم يتم تجليد كتب كل علم بلون مختلف قبل صفها على الرفوف، فقد كانت طريقة مبتكرة في رص الكتب ومازالت تستخدم في الجامعات والمدارس الأوربية منها والعربية حتى عصرنا الحالي.(٤٧)

أثر المدارس النظامية على التعليم حاليًا:

لقد كان اهتمام الوزير السلجوقي نظام الملك بالعلم سببًا مهمًا في إدراك سلاطين السلاجقة أهمية العلم والعلماء، لذا قدروا العلم وعملوا على تقريب العلماء وتشجيع العلم والاهتمام به، كما كان للمدارس النظامية التي أنشاءها نظام الملك في حاضرات البلدان الإسلامية أثرها الكبير في تطور التعليم حتى وقتنا الحالي، وعلي الرغم من السبب الفكري والديني التي أنشئت من أجله المدارس النظامية واقتصارها في البداية على العلوم الدينية إلا أنها أضيفت إليها فيما بعد العلوم العقلية من طب وفلك ورياضيات وكيمياء وفيزياء وغيرها من العلوم التي برع فيها خريجي المدارس النظامية وتخرج منها علماء معروفين بإسهاماتهم ومؤلفاتهم حتى الآن وقد ترجمت هذه المؤلفات ونقلت إلى الجامعات الأوربية كما أنها ما زالت تدرس حتى عصرنا الحالي ومنها علم التفسير، فقد برع خريجي المدارس النظامية في علم التفسير والذي مازال موجود حتى الآن ومن أهم التفاسير التي مازالت متداولة هو تفسير الطوسي. كما برع في علم التفسير إمام الحرمين الشريفين أبو المعالي الجويني الذي ظل في تفسيره للمذهب الشافعي طوال حياته، فضلاً عن باقي العلوم الدينية مثل الفقه والعقيدة وخريجي هذه المدرسة خاصة تميزوا بتفوقهم في فقه المذهب السني والتي مازالت مؤلفاتهم تتداول حتى الآن.(٤٨)

أما عن العلوم اللغوية فحدث ولا حرج، فقد شهد الشعر والنثر فترة ذهبية خلال العصر السلجوقي ومازالت مؤلفاته متداولة ومتوارثة حتى الآن، أما عن العلوم العقلية فقد تفوق فيها خريجي المدارس النظامية وقد ساهمت مؤلفاتهم في تطوير التعليم في العصر السلجوقي ومازالت آثاره تظهر في العلوم التي تدرس حتى الآن سواء في الجامعات العربية أو الأوربية في علوم الطب والكيمياء والصيدلة والهندسة والرياضيات والفلسفة وغيرها من العلوم.

كما أن التنظيم الذي نظمه نظام الملك لهذه المدارس كانت سابقة عصرها وكانت لأول مرة تعرف في العالم، فلم يكن العالم يعرف قبل ذلك نظام المدارس الموجهة أو المخصصة التي تنشأ بسبب معين وهو ما يوجد في عصرنا ، كما أن المدارس النظامية كانت تعتبر أول جامعة يعرفها العالم بأسره، فقد عرفت نظام المحاضرات، وقد انقسمت أيضا أنواع المحاضرات إلي شفهية ومناظرات ومناقشات وما كان موجود قبل ذلك هو أن يجتمع المدرس بمجموعة من الطلبة يلقى عليهم درس في موضوع معين دون اشتراط مكان أو زمان، أما المعروف عن مدارس النظاميات أنها تميزت بوجود قاعات مخصصة للدراسة لتستوعب عدد الطلاب، فضلاً عن تحديد جدول مواعيد للمحاضرات.(٤٩)

كما كان يحق للطالب اختيار الفرع الذي يريد أن يدرس فيه وهو النظام الذي ما زال متبعًا في جامعاتنا حتى الآن حيث يستطيع الطالب اختيار القسم أو التخصص الذي يريد أن يدرس به. كما أن

(٤٧) عطا الله، مرجع سابق، ص ٤٥٣.
(٤٨) طيفوري، مرجع سابق، ص ٤٠: ٤٧.
(٤٩) السرجاني، مرجع سابق، ص٢٣٢.

نظام اختيار المدرسون الذي ابتدعه نظام الملك على أساس الكفاءة بعد إجراء اختبارات وامتحانات في تخصص المدرس وبشروط تتماشى مع السياسة العامة للمؤسسة التعليمية ما زال موجود حتى الآن حيث يتم اختبار الأساتذة قبل تعيينهم في منصب تعليمي معين حتى نضمن كفاءته لما عين من أجله.(٥٠)

كما أن نظام تعيين خريجي المدرسة للتدريس للأجيال الجديدة هو النظام المتبع لتعيين المعيدين حتى الآن، كما توفر جامعاتنا السكن في المدن الجامعية للطلبة والمدرسين المغتربين حتى تسهل الموصلات والسفر كما تقدم لهم الوجبات الغذائية، كما أنها تخصص الرواتب للمدرسين نظير عملهم بالتدريس وكل ذلك وجد لأول مرة في النظام الذي وضعه نظام الملك للنظاميات ما يبرز الأثر الذي تركته النظاميات على التعليم حتى وقتنا الحالي.(٥١)

معابر الحضارة الإسلامية إلي أوربا:

انتقلت العلوم الإسلامية والتنظيمات وما توصل إليه العرب في العلوم المختلفة إلى الغرب الأوربي عبر معابر الحضارة وقد انقسمت هذه الحضارة إلي معابر رئيسية ومعابر مساعدة أما المعابر الرئيسية فمن خلال:

- بلاد الأندلس:

كانت حضارة الأندلس بمثابة الضوء المشع والمتفرد في أوربا في عصور سادها الظلام والتخلف، ولقد كانت الأندلس أهم نقطة لانتقال الحضارة الإسلامية إلى أوربا بسبب موقعها في إسبانيا، وبقيام حركة الاسترداد المسيحي في القرن الخامس عشر وسقوط أخر معاقل المسلمين في غرناطة، إلا أن جامعة الأندلس كانت منارة للعلم في أوربا أخذوا منها العلوم والمعرفة العربية لتكون أساسا للنهضة الأوربية. (٥٢)

- صقلية:

ظلت جزيرة صقلية تعج بالحضارة الإسلامية منذ أن فتحها الأغالبة وأصبحت تابعة لهم، وقد هاجر إليها عدد كبير من المسلمون وظلت على هذا الحال بل أصبحت جزءً كبيرًا ومتطورًا من الحضارة آنذاك، حتى تمكن النورمان بقيادة روجر الأول من الاستيلاء عليها وضمها إلى حكمه في أوربا ومن الطبيعي أن تنتقل علومها إلى أوربا عن طريق هذا المنفذ.(٥٣)

(٥٠) إسماعيل، مرجع سابق، ص ١١٦.

(٥١) طيفوري، مرجع سابق، ص ١٠٧.

(٥٢) نصر، علي منصور، معابر الحضارة الإسلامية العربية إلى الغرب الأوربي، مجلة المؤرخ العربي، المجلد ١٠، العدد ١٠، ٢٠٠٢م، ص ٣٣٣- ٣٣٤.

(٥٣) الحويري، محمود محمد، معابر الحضارة الإسلامية إلى غرب أوربا في العصور الوسطي، مجلة كلية الآداب، جامعة سوهاج، المجلد ٤، العدد ١، ١٩٨٥م، ص ٣٣٨ : ٣٩٣.

- الحروب الصليبية:

تعتبر الحروب الصليبية من أهم المعابر التي سمحت بانتقال الحضارة الإسلامية إلي الغرب الأوربي نتيجة الاحتكاك والتأثير والتأثر الذي حدث بين المسلمين والصليبين نتيجة طول فترة مكوث الصليبيين في المشرق الإسلامي لطول فترة الحروب الصليبية، وعندما عادوا إلى بلادهم نقلوا معهم ما شاهدوه وتعلموه في بلاد المسلمون، وما زال ما تعلموه أثناء الحملات الصليبية يدرس عندهم حتى الآن.(٥٤)

أما عن المعابر المساعدة فكانت عن طريق التجارة التي كانت تعمل على الاحتكاك والتبادل الثقافي حيث حمل التجار المسلمون معهم أخلاقهم الإسلامية وحضارتهم إلى البلاد التي تاجروا فيها، أما عن الترجمة فقد لعبت دورًا كبيرًا عن طريق نقل علوم الحضارات القديمة إلى اللغة العربية وترجمة ما توصل إليه العرب إلى اللغات الأوربية وخاصة اللاتينية ما عمل على انتشار الحضارة والعلم الإسلامي في أوربا والذي مازال أساس العلوم الأوربية التي تدرس حتى الآن في الجامعات الأوربية.(٥٥)

الخاتمة والنتائج

من العرض يتضح أن العباسيون قد اهتموا بالعلم والتعليم وأنشأوا بيت الحكمة من أجل أن تكون مكتبة ضخمة تنشر العلم في أنحاء الدولة العباسية، وجلبوا لها الكتب من بقايا الحضارات القديمة من مختلف الثقافات واللغات، كما اهتموا بحركة الترجمة لنقل هذه العلوم إلي اللغة العربية ثم الإضافة إليها والتطوير فيها.

نجح نظام الملك في إنشاء مجموعة من المدارس سميت بالنظاميات نسبة إليه، بهدف تخريج جيل متشبع بالفكر السني لمواجهة الأفكار الشيعية الباطنية التي كانت تحاول الدولة الفاطمية نشرها، وقد وضع لهذه المدراس أسس ونظم متميزة مازالت تستخدم حتى وقتنا الحالي.

كان لبيت الحكمة أثرًا كبيرًا في تطور التعليم في العصر العباسي وقد امتد هذا الأثر حتى عصرنا الحالي متمثلاً في الكتب العلمية المترجمة عن الحضارات القديمة والمؤلفات في العلوم المختلفة التي كتبها أصحابها الذين كانوا علماء لم يتكرروا وضعوا أساس للعلوم الحديثة ومازالت مؤلفاتهم تدرس في الجامعات الأوربية حتى وقتنا الحالي.

كانت تنظيمات المدارس النظامية سابقة لعصرها الأولي والفريدة والمميزة ما جعلها مثل يحتذى به ومصدر إلهام للمدارس والجامعات حتى وقتنا الحالي، كما انتقلت هذه العلوم والتنظيمات التي برع فيها المسلمون إلي الغرب الأوربي عبر الأندلس وصقلية والحروب الصليبية، كما كان للتجارة وحركة الترجمة دورا كبيرا في ذلك.

النتائج:

ومما سبق نستنتج أن:

- بيت الحكمة أنشأ في العصر العباسي وقد اهتم به الخلفاء العباسيين اهتمامًا كبيرًا وجمعوا له نفائس الكتب والمخطوطات.
- كان لبيت الحكمة دوراً كبيرًا في نشاط حركة الترجمة خاصة في عهد المأمون ما ساعد المسلمين أن يكملوا العلم من حيث توقف الآخرين.
- كان لبيت الحكمة أثرًا كبيرًا على تطور التعليم بسبب ما وفره من كتب ومراجع ساعدت العلماء علي التميز في جميع المجالات.

(٥٤) نصر، مرجع سابق، ٣٤٢: ٣٤٦.

(٥٥) نصر، مرجع سابق، ص ٣٤٦: ٣٥٣.

- أسس نظام الملك المدارس النظام لنشر المذهب السني ودحر أفكار المذهب الشيعي وقد نجح في ذلك.
- كان لتنظيمات النظاميات أثرًا كبيرًا على تطور التعليم وما زالت أثاره نراها حتى الآن في تنظيمات الجامعات والمدارس المختلفة.
- انتقلت الحضارة الإسلامية لتكون الأساس التي قامت عليه الحضارة الأوربية عبر المعابر الحضارية المختلفة في صقلية والأندلس والحروب الصليبية.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر

- القرآن الكريم
- ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٦، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، القاهرة: دار هجر للطباعة والنشر، ١٩٩٨م.
- الحموي، ياقوت: معجم الأدباء، ج ٧، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م.
- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي: المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والأثار، ج ١، القاهرة: مطبعة بولاق، ١٨٥٣م.

ثانيا: رسائل الماجستير والدكتوراه:

- إسماعيل، رفيدة إسماعيل عطا المنان: بيت الحكمة البغدادي وآثره في الحركة العلمية في الدولة العباسية (١٣٢ – ٦٥٦ هـ/ ٧٥٤ – ١٣٥٨م)، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الخرطوم، ٢٠٠٩م.
- طيفوري، خيرة: المدارس النظامية وطرق التعليم في العصر السلجوقي (٤٤٧- ٦٥٦هـ/ ١٠٥٥-١٢٥٨م)، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والحضارة، جامعة عمار ثليجي الأغواط، الجزائر، ٢٠٢١م.

ثالثا: الدراسات والبحوث:

- العيساوي، محمد جاسم: مكتبة بيت الحكمة ودورها في الحضارة العربية الإسلامية، مجلة آفاق للعلوم، العدد ٦.
- الحويري، محمود محمد: معابر الحضارة الإسلامية إلي غرب أوربا في العصور الوسطي، مجلة كلية الآداب، جامعة سوهاج، المجلد ٤، العدد ١، ١٩٨٥م، ص ٣٣٨، ٣٩٣.
- حمود، أسماء حجي. يلدريم، محمد إبراهيم: دور ومكانة المدارس النظامية في التطور العلمي الإسلامي خلال العصر السلجوقي، مجاة العلوم الإنسانية والطبيعية، المجلد ٥، العدد ٥،.
- جونتر، سيبستيان: المدرسة بوصفها مؤسسة للتعليم في العصر الإسلامي الوسيط، جامعة غوتنغن، برلين، ترجمة: رضوان ضاوي، (د.ت).
- عبد الحميد، قصي أسعد: بيت الحكمة وآثره الحضاري حتى نهاية العصر العباسي الأول (٢١٨هـ/ ٨٣٣م)، الجامعة المستنصرية، مجلة كلية التربية الأساسية، العدد ١١٥، المجلد ٢٨، ٢٠٢٢م.

- عبد الوهاب، بوعبدلي المسعود: أهم المدارس النظامية في العصر السلجوقي في القرن الخامس الهجري- الحادي عشر الميلادي، الجزائر، مجلة العلوم الإنسانية والحضارة، المجلد٤، العدد٢، ٢٠٢٢م.
- نصر، علي منصور: معابر الحضارة الإسلامية العربية إلي الغرب الأوربي، مجلة المؤرخ العربي، المجلد ١٠، العدد ١٠، ٢٠٠٢م.
- نفيسي، سعيد: المدرسة النظامية في بغداد، بيروت، الدراسات الأدبية في الثقافتين العربية والفارسية وتفاعلهما: الجامعة اللبنانية، العددان١، ٢، ١٩٦٧م.

رابعا: الكتب العربية والمعربة:

- المنوفي، السيد محمود: أصالة العلم وانحراف العلماء، القاهرة: دار نهضة مصر، (د.ت).
- بيطار، أمينة: تاريخ العصر العباسي، منشورات جامعة دمشق، ١٩٩٦م، ص ٤٠٩.
- اليازجي، كمال: معالم الفكر العربي في العصر الوسيط، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٦٦م.
- خراساني، محمد غفراني: عبد الله بن المقفع، القاهرة: مكتبة نهضة مصر، ١٩٧٠م.
- زكريا، زكريا هاشم: فضل الحضارة الإسلامية والعربية على العالم، القاهرة: دار نهضة مصر، ١٩٧٠م.
- زيدان، جرجي: تاريخ التمدن الإسلامي، ج٣، تحقيق: حسين مؤنس، القاهرة: مطبعة دار الهلال، ١٩٣٢م.
- شلبي، أحمد: تاريخ التربية الإسلامية، ط ٣، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٦م.
- عبد الرحمن، عائشة: تراثنا بين الماضي والحاضر، القاهرة: دار المعارف المصرية، ١٩٧٠م.
- عطا الله، خضر أحمد: بيت الحكمة في عصر العباسيين، ط ١، القاهرة: دار الفكر العربي، ٢٠١٣م.
- عبد الدائم، عبد الله، التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى القرن العشرين، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٣م.
- مظهر، جلال: علوم المسلمين أساس التقدم العلمي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة، ١٩٧٠م.